المستشرق دوزي وكتابه: (المسلمون في الأندلس)
دراسة تحليلية نقدية

دكتور/ عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح*

تقديم

يتناول البحث جانباً محدوداً من جوانب العطاء العلمي الثري، الذي جادت به قريحة المستشرق الهولندي رينهرت دوزي R.Dozy (١٨٢٠ -١٨٨٣م)، ذلكم الرجل الذي يَعُدُّه الكثيرون واحداً من أعلام المستشرقين، الذين قدموا خدمات جليلة للتراث العربي والإسلامي بعامة، ولتاريخنا الإسلامي الأندلسي على وجه الخصوص، من أجل ذلك رأيت تجلية جانب محدد من إسهاماته في دراسة التاريخ الأندلسي، حيث قام بالتأريخ للأندلس إبّان حكم المسلمين لها في الفترة الممتدة من الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف على أيدي حكام دولة المرابطين بالمغرب (٩٢- ٥٠٤هـ/ ٧١١- ١١١٠م) في كتاب عنوانه: "المسلمون في الأندلس".

تبدأ دراستي بإلقاء الضوء على صاحب الكتاب سالف الذكر من خلال التعريف الموجز بالمراحل التي مر بها في حياته، حتى صار باحثاً ودارساً للعلوم العربية والإسلامية وعلى رأسها التاريخ، وكذلك الإشارة إلى الوظائف التي تقلدها، والمناصب العلمية التي تبوأها، وارتباط ذلك كله بنتاجه العلمي الغزير المتنوع، الذي يحتل فيه تاريخ الأندلس مكانة سامية متميزة.

يُعقب ذلك بيان وصفي لمحتويات كتابه (موضع الدراسة) بأجزائه الثلاثة، فيتم استعراض موضوعات كل جزء على حدة من خلال عناوين الفصول، وأفكارها الرئيسية، وما ينضوي تحتها من الأفكار الجزئية المهمة، ولا ريب أن هذا العرض يساعدنا في دراستنا التحليلية التي تركز على بيان منهج البحث التاريخي لديه من حيث المقدمات التي يقدّم بها لموضوعات كتابه، والأفكار التي يهتم بترسيخها والتركيز عليها، والدوران في فلكها فيما ينتقي من الأحداث والوقائع التي يعالجها، وطريقته في عرض معلوماته في الفترات التاريخية المتباينة التي يدرسها، ومدى تحقق الانسجام

---

* أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ مصر.

والتناسق والترابط بينها، ومدى اهتمامه بالتحليل والنقد والتعليق، ومدى ارتباط ذلك كله بالجِدّة في التناول، والالتزام بالمنهج العلمي في توثيق المادة العلمية.

وأخيراً نقوم برصد إيجابيات دوزي وسلبياته بعد القراءة المتأنية لما كتبه، وهو يعالج القضايا التاريخية المتعددة، والأحداث الجسام التي مرت بها بلاد الأندلس في ظل الحكام المسلمين عبر الفترات التاريخية، التي تراوحت بين القوة والرخاء والازدهار، والضعف والاندحار والانهيار، مستخدمين في ذلك كله المنهج العلمي القائم على الحياد والإنصاف في التحليل والمقارنة، والاستنباط، بعيداً عن غلبة التحيز، والميل مع الأهواء.

أولاً: التعريف بالمستشرق دوزي(*):

١- ينتسب دوزي الهولندي الجنسية إلى إقليم دويزي **Doisy**، الذي كانت تعيش فيه إحدى الأسر الشريفة المنسوبة إليه في مطلع القرن السابع عشر الميلادي، ثم تفرعت إلى عدة فروع في نواحي هولندا(١).

٢- عاش دوزي حياة سعيدة في طفولته إلى أن بلغ التاسعة من عمره، فإذا به يفقد أمه، رتم إيداعه في إحدى المدارس، التي كفلت له حياة طيبة، وتعليماً جيداً، وقد أظهر عبقرية مبكرة؛ مما دفع إدارة المدرسة إلى الدفع به -وهو في الرابعة عشرة من عمره- إلى الدكتور جلدر **Gelder** الذي اصطفاه من بين دارسي اللاهوت لتعلُّم اللغة العربية، فاستقام لسانه بها، وتعمق في مطالعة كتبها(٢).

٣- التحق دوزي بجامعة ليدن، والتقى بالعالم اللغوي فايرس **Weijers** (١٨٠٥-١٨٤٤م)(٣)، فتعلم على يديه العبرية والسريانية، إلى جانب حب دوزي للشعر العربي، فتوسع في دراسته ومطالعته في دواوينه، حتى غدا ذوّاقة له، وكانت له اهتماماته المبكرة بمعاجم اللغة العربية، حيث تقدم لمسابقة أعلن عنها المعهد الملكي الهولندي لوضع معجم عن الملابس العربية، فأقدم على ذلك العمل بكل همة ونشاط رغم ضخامته، واحتياجه إلى قدر كبير من المصادر، مع سعة الإطلاع والدقة المتناهية، حتى أنجزه وهو في الثالثة والعشرين من عمره (١٨٤٣م)، فاز بالجائزة(٤)، وقام بإكمال هذا المعجم حتى رضي عنه تماماً، وأخرجه للناس بعد عامين (سنة ١٨٤٥م)، وسمّاه:

Dictionnaire detaille de noms des Vetements chez les Arabes.، وقد تُرجم إلى العربية حديثاً بالعراق[٥]، ولم تقف جهوده اللغوية عند هذا الحد؛ لأنـــه كان يعرف للغة العربية حيويتها ومكانتها في تطور الفكر الإنساني، فأراد عمل معجم ضخم غزير المادة جَمّ الشواهد، ربط فيه بين الألفاظ العربية الأصلية، وما استجد في اللغة من الألفـــاظ المستحدثة والدخيلة، وذلك فيما عُرف باسم (الذيل)، أو (ملحق المعاجم العربية): Supplement aux dictionnaires Arabes.، وقـــد طبع في هولندا، وقرّت عينه برؤياه قبل وفاته بعامين (١٨٨١م)، ثم أعيد طبعه في بيروت منذ سنوات[٦].

٤- لدوزي جهود طيبة في نشر التراث العربي بعامة، والتاريخ الأندلسي بخاصة، لاسيما أنه جـــاب العديـــد مـــن مكتبات المخطوطات العالمية في ألمانيا وإنجلترا، وغيرهما، ولا ننسى إجادتـــه للعديـــد مـــن اللغات -بخلاف ما ذكرنا- كالإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية، والهولندية، واللاتينية، كل ذلك هيأ له قدرات هائلة على القراءة والإطلاع عـــلى مـــا يُنشـــر من مؤلفات مكتوبة بهذه اللغات، إلى جانب ما تحلى به من الدأب والإصرار، والعزيمة القوية، والصبر في مقابلة المخطوطات، ونسخها، وتحقيق نصوصها، ونشرها، والدقة في عمل الفهارس المتعددة لها؛ مما جعله أهلاً لتكريم الحكومات المختلفة له، فحظي بعضوية العديد من أكاديميات التاريخ، والعلوم، وجمعيات الدراسات الشرقية في إسبانيا، وبلجيكا، وألمانيا، وإيطاليا، علاوة على عمله في وظائف مهمة كاختياره أميناً لمكتـــبة جامعـــة ليدن، وبلوغه درجة الأستاذية في الدراسات الشرقية والتاريخ بالجامعة ذاتها، وهكذا ظل الرجل ملء السمع البصر في المحافل العلمية المختلفة بمؤلفاته، وندواته، ومحاضراته، ومنشوراته التراثية المحققة حتى يوم وفاته في التاسع والعشرين من شهر أبريل سنة ١٨٨٣م، فطويت صفحة ناصعة مشرقة لأول مستشرق، اقتحم ميدان الدراسات الأندلسية تأليفاً وتحقيقاً، وتدريساً، ونقداً[٧].

٥- إذا كـــان دوزي قـــد رحل عن دنيانا، فقد خلّف وراءه ثروة هائلة من النتاج العلمي المميز، لاسيما في مجال تحقيق ونشر المخطوطات العربية[٨].

ومـــن المعلوم أن المستشرق الهولندي دي خويه De Coeje (١٨٣٦- ١٩٠٩م) تتلمذ على يد دوزي بعد دراسته للغة العربية مدة عامين، وقد أحسن دي خويه عندما لم يوزع مجهوداته

في دراسة اللغات السامية، وركز اهتمامه على اللغة العربية وآدابها، وتعلم على أستاذه دوزي كيفية دراسة المخطوطات العربية وتحقيقها[٩]، وأعانه دوزي على نسخ بعض المخطوطات (مثل: الجزء الخاص بأفريقيا والأندلس من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي)[١٠].

من آثار العلمية في التجميع والتحقيق والفهرسة: كلام كُتّاب العرب في دولة بني عَبّاد (استعان فيه بكتاب الذخيرة لابن بسام)، وصدر في ثلاثة أجزاء[١١]، ونشر كتاب (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) لعبد الواحد المراكشي، وبآخره مقدمة بالإنجليزية تشتمل على ترجمة المؤلف[١٢]، ونشر جزأين من (البيان المغرب) لابن عذاري مع مقدمة علمية دقيقة له، وملحق، وبعض الملاحظات النقدية[١٣]، مع مقتطفات من تاريخ (عريب بن سعد القرطبي)، ثم قام المستشرق الفرنسي بروفنسال بإصدار جزء ثالث منه[١٤].

وكُلّف بعمل فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة ليدن بهولندا، فقام بهذا العمل خير قيام، وأصدر جزأين من فهرس المخطوطات الشرقية[١٥].

وفي مجال التأليف: وضع كتاب (أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي في العصر الوسيط) وهو في أجزاء متصلة بتاريخ الأندلس، نقد في الطبعة الأولى منه كتاب (تاريخ احتلال العرب لإسبانيا) لكوندية[١٦]. وكذلك عكف عشرين سنة في جمع مادة أهم كتاب له (تاريخ مسلمي إسبانيا)، وبذل فيه جهداً كبيراً في ترتيب موضوعاته، ونقد رواياته، حتى أصدره سنة ١٨٦١م باللغة الفرنسية في أربعة أجزاء[١٧]، وهو موضوع بحثنا هذا، إن شاء الله.

ثانياً: محتويات كتاب (المسلمين في الأندلس)[*]:

١- محتويات الجزء الأول: عنوانه (المسيحيون والمولدون)[١٨]. وهذا الجزء يتكون من ثمانية عشر فصلاً[١٩] تسبقها مقدمة الطبعة الأولى لدوزي، وكلمة لبروفنسال المشرف على هذه الطبعة، وفيه يتناول طبقات المجتمع الإسباني قبل الفتح الإسلامي، وأوضاعها الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، ثم يتناول أحداث فتح موسى بن نصير، وطارق بن زياد للأندلس، ويرصد الأوضاع العامة بعد مضي قرن من الفتح، وبدايات تذمر المولدين، وبدايات حكم عبد الرحمن الداخل، وعلاقة هشام ابنه بالفقهاء، ومذبحة الحفرة في طليطلة، وفترة إمارة الحكم بن هشام وحيلته في هزيمة الثوار من أهل الربض، وعهد عبد الرحمن بن الحكم والمتغيرات الاجتماعية بالأندلس، والفتنة بين المولدين والنصارى

في طلـــيطلة، ومواقـــف المسلمين من فتنة المستعربين وإخماد أوارها، ثم حركة عمر بن حفصـــون زعـــيم المولدين، وأبنائه من بعده حتى القضاء عليهم في عصر عبد الرحمن الثالث.

٢- محتويات الجزء الثاني: عنوانه: (إسبانيا الإسلامية)[٢٠]، يشمل هذا الجزء -أيضاً- ثمانية عشـــر فصـــلاً[٢١]، ويتناول الموضوعات الآتية: (الفاطميين والأندلس -وحركة بلاي والتمرد في مملكة ليون، وثورة أهل جليقية- مواجهة الناصر لحركات التمرد الداخلية بـــنجاح وتوحـــيده أقاليم الأندلس، ورده عدوان ملوك النصارى بالأندلس- استقرار أوضاع الأندلس في عصر الناصر وهيبته في قلوب النصارى وتتابع سفاراتهم إليه؛ طلباً للصـــلح والسلم- فترة خلافة الحكم المستنصر وقوة الأندلس واستقراره في عصره- اهتمامه بالعلم والعلماء والكتب والمكتبات وازدهار الحركة العلمية في عصره- القوى المســـيطرة عـــلى شئون الأندلس بعد وفاة المستنصر- وأوليات المنصور وصعود نجمه ومراحل ترقيه السريع في المناصب- تغلبه على كافة منافسيه وتوليه منصب الحاجب- استبداده بشئون الحكم وحجزه على الخليفة الصبي هشام المؤيد - تغييراته الجذرية في نظام الجيش- حملاته وغزواته الصاخبة ضد قلول ملوك النصارى- خاتمة حياته وتقويم عصره- أوضاع الأندلس بعد وفاة المنصور- تدهور الأحوال بعد مقتل عبد الرحمن بن المنصـــور- الصراع المرير والتخريب المدمر الناتج عن الحرب الضروس بين الأندلسيين والـــبربر وتدخـــل النصارى لتدمير وحدة الأندلس -إلغاء وإسقاط الخلافة الأموية في الأندلس).

٣- محتويات الجزء الثالث والأخير: عنوانه: (ملوك الطوائف)[٢٢]: يحوي هذا الجزء خمسة عشر فصلاً[٢٣]، وبه الموضوعات الآتية: "الصراعات المحلية وانقسام الأندلس إلى ممالك عديـــدة يحكمهـــا أمـــراء أو ملوك الطوائف- استعراض هذه الدويلات واحدة وراء الأخـــرى في غرناطة وطليطلة، وسرقسطة، وإشبيلية، وغيرها -بيان الأوضاع الداخلية عـــلى أيـــدي حكامها المتعاقبين وعلاقات العداء المتبادل فيما بينهم- حالات الضعف الشـــديد الذي تعانيه هذه الدويلات؛ مما أدى إلى خضوعها لملوك النصارى -استغلال النصـــارى موقـــف هؤلاء الحكام وإذلالهم وفرض إتاوات باهظة عليهم، وتدخلهم في

الصراعات الجانبية، واقتطاعهم المدن والقلاع والحصون من أيديهم —التركيز الشديد والتفصيل لأوضاع إمارة إشبيلية وحكامها من بني عباد خاصة المعتمد بن عباد، ووزيره ابـــن عمـــار، وما انتهى إليه أمر المعتمد وزوجته وبناته ودولته على أيدي يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين بالمغرب، الذي قضى على ملوك الطوائف، وضم ممتلكاتهم لدولته، ونجم في التصدي لملوك النصارى).

ثالثاً: دوزي ومنهج الباحث التاريخي

يرى بعض الباحثين أن للمستشرقين حسناتهم ومساوئهم، وأن الإنصاف يقتضينا عدم التعميم في إطـــلاق الأحكام عليهم[٢٤]؛ لأنهم ليسوا جميعاً أذناباً للاستعمار، ولا وليدي حركات التبشير النصرانية؛ ففيهم منصفون محايدون يهدفون للوصول إلى الحقيقة عن طريق البحث العلمي النزيه، ويتبعون في ذلك المنهج العلمي الحديث القائم على الجمع والتحليل والمقارنة، والتدقيق والأمانة في إصـــدار الأحكام[٢٥]. والحق أن هذا كلام لا غبار عليه، فهم أنواع ودرجات وطبقات من حيث العـــلم، والحـــيدة والنزاهة[٢٦]، وإن كان ذلك لا يمنع من التعامل بحذر تام عند مطالعة مؤلفاتهم، وقـــراءتها بـــتأنٍّ وتؤده؛ للوقوف على ما يقومون بدسه من خلال بعض العبارات، وفي ثنايا بعض الســـطور، فيتم التنبيه على أخطائهم، وسوء فهم وتأويل بعضهم، وتفنيد الأحكام والاستنتاجات الخاطئة التي يبثونها في تضاعيف كتبهم، سواء كان ذلك عن عمد أم عن غير عمد.

أما بخصوص منهج البحث العلمي في التاريخ وغيره من العلوم، فليس المستشرقون هم مخترعيه وموجديـــه مـــن عدم؛ لأن الثابت يقيناً أن المسلمين هم منشئو المنهج التجريبي في البحث العلمي بتوجـــيه مـــن دينهم وعقيدتهم، فالإسلام حثهم على طلب العلم أولاً، ثم النظر العملي الواقعي؛ لاســـتخلاص الحقـــائق. فالحركة العلمية الأوربية الحديثة تستمد كل أصولها من الحركة العلمية الإســـلامية، وما نهضت العلوم في الغرب إلا على أسس جاهزة ابتكرها المسلمون وأبدعوها[٢٧]. ولـــيس هذا مقصوراً على العلوم التجريبية وحدها؛ لأن الدنيا نماذج مشرقة في تاريخنا الإسلامي المؤرخين أبدعوا مؤلفاتهم وفقاً لقواعد المنهج العلمي الصحيح من جمع المادة العلمية،

والتدقـــيق في انـــتقائها، والربط بينها، وتحليلها، ونقدها، والتعليق عليها، مما نجده بعد القـــراءة الفاحصـــة والدراسة المنهجية في المصادر التاريخية التي أدعها المؤرخون من أمثال الذهبي (ت ٧٤٨ هـــ / ١٣٤٨ م)، وابـــن كـــثير (٧٧٤ هـــ / ١٣٧٣ م)، وابن تغري بردي

(ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)، وابن حيان (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م) أمير مؤرخي الأندلس – وهو سابق عليهم بكثير – وما بقي من مؤلفاته منا ببعيد[٢٨].

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن : أين دوزي من منهج البحث العلمي في كتابة المسلمين في الأندلس ؟ ولقد سطر قلم دوزي في مقدمة الطبعة الأولى من كتابه هذا منهجه الذي توخاه في تأليفه ويتلخص في الاستقصاء والإسهاب في القراءة والإطلاع على موضوع الكتاب ، والإفاضة في جمع مادته بالرجوع إلى معظم المخطوطات المفيدة الموجودة في أوروبا للإلمام بشتى جوانب الموضوع ومقابلة النصوص بعضها ببعض وتصويب الأخطاء التي وقع فيها سابقوه نتيجة اعتمادهم على كتاب (كونديه) الذي يفتقد الحاسة التاريخية تماما وتنقصه معرفة العربية جيدا ولم يجمع إلا التافه اليسير من المادة العلمية فأتت تفسيراته خاطئة ونتائجهم مغايرة وكذلك الحرص على جدة الموضوع عن طريق الواقعية والدقة وعدم الإطالة بنبذ التفاصيل الزائدة المملة ، والحرص على مخاطبة كافة القراء

والجمع بين التاريخ السياسي والحضاري مع وضوح القصد فلم يكثر من الملاحظات ، ولم يثقله بالنصوص ، ولم يتخمهم بالاقتباسات وقام باستخلاص الحقائق والنتائج مع الحرص الشديد على بيان مصادر هاتيك الحقائق[٢٩].

منهج دوزي في طور التطبيق :

١– أهتم دوزي بانتقاء عناوين أجزاء كتابه ، كما وضع لمعظم الفصول عناوين مناسبة لموضوعها[٣٠] ،ويندر خلو الفصل من وجود عنوان له[٣١] .ونلحظ وجود تتابع في موضوعات الكتاب إلى حد ما ،لكنه – أحيانا– يقع في سوء تقسيم الفصول المفضي إلى توزع مادة الفصل الواحد علي عدة فصول[٣٢]، وربما كان دافعه إلى ذلك حرصه علي الاختصار وعدم التطويل في حجم الفصل وهو ما تحقق بالفعل ، حيث كثرت أعداد الفصول،وتناسقت أحجامها الصغيرة إلى حد كبير[٣٣]،لكن ذلك أدى إلى شئ من الاضطراب .

٢– طريقة العرض : عودنا دوزي – قبل بداية كل فصل من فصول كتابه (المسلمين في الأندلس) – علي تدوين الأفكار الجزئية بتركيز واختصار

شديدين وعمل جيد دأب عليه بعض الباحثين[٣٤]، ولعلهم تأسو به وبغيره في هذا الشأن ،لكـــن الأولى –في رأيي– أن يحيل هذه الجزئيات إلى عناوين جانبيه ،يوضع كلا منها قرين الفقرة المرتبطة به ، فلذلك يجعلها الصق بالموضوع،وييسر المتابعة الجيدة علي القارئ .

علي الرغم من خلو فصل وحيد في الكتاب كله من العنوان،إلا أن مضمونه يدور حول (الفاطمـــيين وملكة ليون النصرانية والمخاطر التي تهدد المسلمين جنوبا وشمالاً في الأندلس) . وقد قدم دوزي في بداية الفصل بمقدمة جيدة مركزة علي الشيعة الفاطميين في الشرق ،ليربط بين ذلك وبـــين علاقتهم بالأمويين في الأندلس[٣٥].وقد يذكر المؤلف موضوعات الفصل مجمله في بدايته،ثم يـــأتي عليها واحدة بعد الأخرى تباعاً بصورة مفصلة[٣٦].هذا وقد كان دوزي – أحيانا– يحرص عـــلي الـــربط بين نهاية الفصل السابق ، وموضوع الفصل اللاحق كإشارته إلى محاولات نصارى قرطـــبة للقيام بثورة ذات طابع خاص في السنوات الأخيرة من عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـــ/٨٢٢-٨٥٢م) ،وهو ما يستدعي عرض صورة تفصيلية عنها،وهو ما بدأه – بالفعل – من الفصل التالي[٣٧]

ملاحظات نقدية علي طريقة العرض :

أ – يؤخـــذ عـــلى دوزي عدم توزيعه للمادة العلمية توزيعا متوازنا عند تناوله ملوك الطوائف ، ودفعه حبه الشديد ، وتحيزه للمعتمد ابن عباد ملك اشبيلية

ضد يوسف ابن تاشفين إلى استئثار إمارته ومعظم صفحات الجزء بـــ (ملوك الطوائف) [٣٨] وهذا عيب منهجي مهما قيل في الاعتذار عنه بأن المعتمد هو أهم ملوك الطوائف ، وأن إمارته هي أقوى الإمارات .

ب – وقـــع دوزي في عيب منهجي آخر وهو ضعف الترابط بين الفصل (الرابع عشر) الـــذي شـــهد استسلام المعتمد بن عباد للمرابطين ، وتابع أخبار الأخيرين حتى نهاية دولته ، بين الحديث في الفصل (الخامس عشر) عن سيرة المعتمد ونهايته[٣٩] ، إذ كان الصواب يقتضيه تناول ســـيرة المعتمد ونهايته بعد استسلامه ثم يخصص الفصل الأخير لمتابعة أوضاع المرابطين بعد القضاء عـــلى ملـــوك الطوائف حتى سقوط دولتهم ، إلا أن تحيزه الشديد ورغبته العارمة في إبراز مأساة المعتمد ونهايته المفجعة هو وزوجه وبناته ، لإبراز وحشية وفظاظة يوسف بن تاشفين ، جعلته يفرد نهايته بفصل كامل يدغدغ عواطف القراء ، ويستثير مشاعرهم ، لاسيما وقد أكثر فيه من إيراد

أشعار بن عباد في محنته ، ومشاركة البعض لـــه في الحزن عليه ورثاء بعض الشعراء له بعد وفاته ، خاتما الفصل والكتاب كله بأبيات إرجلها المؤرخ والأديب الكبير لسان الدين بن الخطيب أمام قبر الفقيد .

جـــ – يؤخذ على دوزي وقوعه في داء الاستطراد المعيب عنه حديثه عن حركة المقاومة في إقليم (ريه) عندما حاول الربط بين السكان الجبليين من المولودين في هذه المنطقة بزعامة عمر بن حفصون وبين جوزي ماريا الذي ذاع صيته سنة ١٨٦١ م كواحد من أكبر زعماء العصابات في العصر الحديث

وعرج بعده للحديث عن العداء التقليدي بين أسبانيا وفرنسا منذ قديم[٤٠]. وقد ذاعت استطراداته في مواضع أخرى من كتابه ، نتيجة حبه للأدب عموما والشعر على وجه الخصوص ، فانســـاق وراء التعليقات الأدبية ، وذكر الأبيات الشعرية بلا مناسبة حقيقية[٤١] ، مما أدى لقطع استرسال الأحداث التاريخية .

وكذلك وقع دوزي في عيب (القصور) عندما زعم أنه لم يتعرض لسقوط الأندلس على يد الموحدين الذين حلوا محل المرابطين ، لأنه تقتصر دراسته على دراسة (تاريخ الأندلس المحتلة) ولقد تناول الحقبة التي صار فيها هذا القطر (الأندلس) ولاية من ولايات دولة أخرى ، فإنه يكون قد تجاوز الحدود المرسومة لموضوعه [٤٢]. والحق أن هذا كلام متناقض لأنه درس الأندلس في ظل المرابطين ، وقد ضم هؤلاء ما استطاعوا منها إلى دولتهم . وفي تقديري أن الرجل انهارت قواه ، ولم يقوى على مواصلة التأريخ للأندلس في ظل الموحدين ، ومن بعدهم حتى نهاية الحكم الإسلامي . وأضيف إلى ذلك سببا أخر صرح به دون أدنى مواربة عندما قال : أنه إكتفى بنهاية المرابطين ؛ لأن الواجـــب حتم عليه أن يكشف بوضوح عن سوء أحوال الأندلس أثناء الاحتلال المرابطي ، وأن الأندلســـيين جمـــيعا –بمن فيهم القضاة والفقهاء– راحوا يندبون أمراء الطوائف الذي افتروا عليهم أشد الافتراء ، وتخلوا عنهم وقت الخطر تخليا وصمهم بالخيانة[٤٣] ، والحق أن الرجل يقلب المعايير والموازين كلها ؛ لأنه يريد أن يثبت فشل الحكم الإسلامي الذريع في عصر المرابطين ؛ لأنه تصدى لملوك النصارى ، وأجل سقوط الأندلس بأيديهم في تلك الآونة

ثم زعـــم أن الأندلس في ظل ضعف واستكانة وخيانة ملوك الطوائف كانت أفضـــــل حالا !!

٣- حول توثيق المادة العلمية ، واستخدام المصادر ، ونقدها :

من خلال التتبع الدقيق لمنهج المستشرق دوزي في اختيار مصادر وطريقته في استخدامها ، تبين لنا ترواحه بين الحالات الآتية :

أ - حرص دوزي على الرجوع إلى العديد من المصادر المتنوعة (عربية [٤٤]، لاتينية[٤٥] ، إسبانية[٤٦] ، إلى جانب بعض وثائق اللاتين[٤٧] ، والفونسو العاشر[٤٨]) . وقد صرح الرجل بوثاقه بعض مصادره وهو ينقل عنها[٤٩] وحدد ذات مرة معيار التوثيق بمشاركة صاحب المصدر في الحدث[٥٠] ، وقد يذكر انفراد المصدر بذكر الواقعة دون غيره[٥١] .

ب- وفي بعض الأحيان حكم دوزي علي بعض المصادر بأنها غير موثوق بها[٥٢] ، وقد يقوم بنقد المصدر واتهامه بعدم الدقة في إيراد الأحداث[٥٣]

جـ- ثمة المصادر يكتفي دوزي في متن كتابة بالإشارة إليها إشارات غير محددة،فيقول: المؤلفون العرب[٥٤] ، والمؤرخون العرب[٥٥]،وأحد المؤرخين المعاصرين لهذه الأحداث[٥٦].

د- هناك مواضع عديدة يذكر فيها أحداثا ووقائع مهمة،ولكنه يوردها مرسله غفلا من ذكر مصادرها؛مما يجعل الباحث نهبا للشكوك،أو متحير إزاء قبولها والأخذ بها .

هـ- تعددت الطرق التي استخدمها دوزي في الحواشي لتوثيق النصوص؛فأحيانا نجد ثراء وغزارة في المعلومات الواردة بها،والمصادر والمراجع التي يحال عليها القارئ[٥٧]،وقد يذكر مصدرا أو مصدرين مع تحديد الجزء والصفحة[٥٨]،وربما حدد السطر كذلك[٥٩]،وما يقابلها في الكتاب مترجما[٦٠]،أو المقابلة بين المخطوط والمطبوع[٦١]،وأحيانا يكتفي بذكر المصدر دون تحديد جزء ولا صفحة[٦٢]،وربما ذكر المؤلف خلوا من اسم المصدر[٦٣]،وقد يحدد طبعة معينة من طبعات الكتاب[٦٤]،أو لا يحدد ما أقتبسه تحديدا دقيقا[٦٥]،أو يذكر مصدرا من خلال مرجع[٦٦]،أو يذكر المصادر غير مرتبه حسب أقدميتها[٦٧] ،أو يختصر في ذكر المصدر (أو المرجع) إذا تكرر بقوله: مرجع سابق[٦٨]،أو شرحه[٦٩] .

و- علاوة علي استخدام الحواشي لتوثيق المعلومات،فهي تستخدم عند دوزي-أيضا- في التعريف[٧٠] ببعض الشخصيات مع ذكر مصدر التعريف،وكذلك في توضيح بعض الأماكن الجغرافية وما هي عليه وقت تأليف الكتاب[٧١]،كما استخدمها دوزي في تخريج إحدى آيات القرآن الكريم[٧٢].

رابعاً وأخيراً: دوزي في ميزان النقد التاريخي : نحاول – من خلال هذه الجزئية الأخيرة – رصد ما تيسر لنا من إيجابيات وسلبيات دوزي في كتابه وذلك علي النحو الآتي :

١– الإيجابيات: يقتضينا الحياد في تحليل ونقد كتاب دوزي الابتعاد عن الهوي والتعصب،وقراءة ما دبجته قريحته بتجرد تام. يلاحظ أن دوزي من نوعية المستشرقين الذين لا يسبون الإسلام،ولا يأتون بألفاظ مقذعة. بل يدس بين الحين والآخر بعض سمومه وسط العسل الشهي الذي يعرضه. ومن هنا المنطلق وواقع الأمر يقفنا علي مواضع عديدة من المدح والأنصاف، ومنها ما يلي:

أ – مزايا حكم المسلمين للأندلس[٧٣]، واعترافه بعدالة المسلمين مع أهل البلاد المفتوحة[٧٤].

ب– اعترافه بأن أديرة النصارى تمثل بؤرة التعصب الأعمى ضد المسلمين ورسولهم ومقدساتهم[٧٥]، ورصده عيبا اجتماعيا في الأندلسيين لا يزال موجودا في أسبان العصر الحديث وهو الغرور[٧٦].،ووقوفه علي سمه بارزة في الأسبان وهي التعصبالديني المقيت[٧٧]، وكذلك رصده أخطر عيوب العرب ممثلا في تقاتلهم فيما بينهم[٧٨].

جـ– ثناؤه علي الخليفة الناصر،وإدراكه عظمة إنجازات التي قام بها داخليا،وتوحيد الأندلس تحت قيادته،وانتصاراته المدوية خارجيا،وإحساس

الجانب النصراني تجاهه بالرهبة الشديدة[٧٩]،وكذلك إعجابه الشديد بشخصية المنصور بن أبي عامر وكفاءته ومهاراته[٨٠].

د– ظهرت شخصية المستشرق دوزي جلية من خلال القضايا التاريخية العديدة التي درسها،فهو يتمتع بقدرة طيبة علي التحليل[٨١]،والمقارنة[٨٢]، والاستدلال[٨٣]، والاستنتاج[٨٤]، والتعليل[٨٥]، والنقد[٨٦] وإذا أعوزته الحجة والبرهان، استخدم الحس والظن[٨٧]، وأحيانا يرجح[٨٨]، وإذا لم يطمئن

توقف عند الترجيح[٨٩] وكذلك كان دقيقا في استخدام المصطلحات[٩٠]، متتبعا تطورها[٩١] .

٢– السلبيات : لا يكاد يخلو منها عمل إنسان، وهي كثيرة متنوعة في كتاب دوزي، لعل من أبرزها .

أ – اتهام المسلمين بسلب ونهب الأندلس[٩٢]، والزعم بان حركة موسى ابن نضير لفتح الأندلس توسعية[٩٣]، والقول بأن موسى أمر طارقا بالعود عن فتح الأندلس، وترديد الروايات الضعيفة الزاعمة سوء علاقة موسى بطارق وحسده له، وجلده[٩٤]، ووصف المسلمين بالمتبربرين[٩٥] وان الشعب الأسباني قبل الحياة في ظلهم باعتبارها أفضل من اضطهاد القوط[٩٦]، ونقض المسلمين لمعاهداتهم، وقيامهم بمصادرة أملاك الناس واستخدامهم اللين في بداية دخولهم البلاد المفتوحة، ثم الانقلاب علي أهلها بعد ذلك[٩٧] .

ب– اتهام العرب بأنهم طبقة متكبرة أرستقراطية[٩٨]، والخروج عليهم تحرر من العبودية[٩٩]، ومظاهر الحضارة التي يهتم بها عند المسلمين في الأندلس مادية صرفة[١٠٠]

جـ– غمز ولمز الفقهاء في كل مناسبة، والزعم بأن رجال الدين المسلمين سيطروا علي الملوك (سطو يحيي ابن يحيي الليثي علي عبد الرحمن الأوسط)[١٠١]، واختزال الأعمال الحضارية في عصر الأوسط في فقيه ومغن،وامرأة وخصي[١٠٢]، وتصويره تاريخ المسلمين علي أنه سلسلة من الحروب والصراعات بين العرب والبربر والمولدين والمستعربين[١٠٣]، وإظهار التعصب الشديد للمسيحية، واعتبار تاركها مرتدا[١٠٤]، وتعظيمه وتفخيمه لملوك النصارى الذين أنزلوا الهزائم بملوك الطوائف، وألحقوا بالمسلمين الذل والهوان، وأسقطوا مدنهم[١٠٥] .

د– التعبير عن شعائر الإسلام بأنها خرافات[١٠٦]، والزعم بان المرابطين محتلون، مع النظرة الدونية لهم ثقافة وتحضرا[١٠٧]، واتهام يوسف بن تاشفين زعيمهم بالجهل[١٠٨]، والفظاظة[١٠٩]، وإلصاق كافة التهم بالمرابطين لا سيما عصر علي بن يوسف بن تاشقين، فهم مرتكبوا الرذائل،وناقضوا للعهود[١١٠] .

هـ– رغم تمتع دوزي بالأسلوب الجميل[١١١]، وما حظي به كتابه من ترجمه رائعة راقية،إلا أنه كان يعيبه – أحيانا– الأسلوب الخطابي العاطفي[١١٢]، الذي لا يلائم البحث العلمي الجاد، وكذلك كان يخرج – نادرا – عن مقتضيات التعفف في الألفاظ، فعبر عن عدم جدارة علي بن يوسف بن تاشقين بالإمارة – رغم خطئه في ذلك الحكم المتسرع الأهوج – بأن القدر كأنما أخطأ عندما منحه هذا المنصب[١١٣] !

وأخيرا، وقع دوزي في عدد من المبالغات التي كان يجب أن يربا بنفسه عن الوقوع فيها، كقوله مثلاً : زرياب مشرع إسبانيا العربية[١١٤]، وسوقه كثيرا من نبوءات وخرافات النصارى[١١٥]، وزعمه أن موت نصر الخصي جاء انتقاماً لمن سماهم النصارى[١١٦]

الخلاصة

١- المستشرق الهولندي دوزي من كبار علماء الاستشراق، عاش حياة علمية حافلة في طلب العلم، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى وصل إلى درجة الأستاذية في جامعة ليدن، وأجاد العديد من اللغات العالمية الحية، ومنها : اللغة العربية وأثمر ذلك كله نتاجا علميا غزيرا متنوعا تأليفا، وفهرسة، وتحقيقاً إلى جانب المؤتمرات والندوات والمحاضرات.

٢- اختص البحث بدراسة الأجزاء الثلاثة التي تناول تاريخ المسلمين في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى دخول المرابطين . من خلال عرضة موضوعاته ، أثبتت الدراسة أن الرجل له منهج علمي يتبعه في الربط والتنسيق ، وطريقة العرض، ولنا علية بعض الملاحظات النقدية. وكذلك إيجابياته وسلبياته فيما يتصل بمنهجه في توثيق معلوماته،واستخدام المصادر والمراجع ونقدها.

٣- تم وضع كتاب دوزي في ميزان النقد التاريخي، وثبت من الدراسة أن الرجل ذو شخصية حاضرة في التعليق والتعليل والنقد والتحليل ،والمقارنة،والاستنباط إلى حد كبير، كما انه بمتابعة آرائه وأفكاره ، وجدناه يتمتع بالمنهجية والإنصاف في دراسة بعض القضايا التاريخية، كما أن هناك العديد من المآخذ السلبية، التي وقع فيها دوزي عندما غلبة تعصبه وغطي علي عقله هواه، فوجب التنبيه علي تلك المواضع، كي يضعها الدارسون في الحسبان.

قوائم المصادر والمراجع والدوريات

أولاً: المصادر:

* الحُميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر ٤٢٠- ٤٨٨هـ/ ١٠٢٩- ١٠٩٥م):

- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: سلسلة المكتبة الأندلسية رقم ٥، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري اللبناني ١٩٨٤م. تحقيق وتقديم وفهرسة: إبراهيم الإبياري.

* ابن حيّان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي ت٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م):

– المقتبس من أنباء أهل الأندلس (أحداث سنة ٢٣٢– ٢٦٧هـ): نشر دار الكتاب العربي– بيروت ١٩٧٣م، تحقيق: أ.د.محمود على مكي.

*الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عُميرة ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م):

– بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس: سلسلة (تراثنا: المكتبة الأندلسية رقم ٦)، نشر دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

*الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

– تاريخ الطبري: سلسلة ذخائر العرب (رقم ٣٠)، الطبعة الثانية– دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٧م، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

*ابن الفَرَضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م):

– تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: الطبعة الثانية، مكتبة الخانجى بالقاهرة، نشر وتصحيح السيد عزت العطار الحسيني.

*ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م):

– تاريخ افتتاح الأندلس: سلسلة المكتبة الأندلسية رقم ٢، الطبعة الأولى– دار الكتاب المصري اللبناني ١٩٨٢م، تحقيق وتقديم إبراهيم الإبياري.

*المراكشي(محي الدين عبد الواحد بن على التميمي ت بعد ٦٢١هـ/ بعد ١٢٢٤م):

– المعجب في تلخيص أخبار المغرب: الطبعة الأولى،المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩م. تصحيح وتعليق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي.

ثانياً: المراجع

١– أ.د.جمال عبد الهادي، و أ.د.وفاء محمد رفعت: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لماذا؟ الطبعة الثانية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٨م.

٢– أ.د.حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلادي). ثلاثة أجزاء في مجلدين، الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع بيروت ١٩٩٢م.

٣– ريتشهرت دوزي: المسلمون في الأندلس: طبع ونشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م. ترجمة، وتعليق، وتقديم: أ.د. حسن حبشي.

٤- عبد الله على العليان: الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف: الطبعة الأولى- المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، وبيروت ٢٠٠٣م.

٥- أ.د.عبد الرحمن على الحجي: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي: الطبعة الثانية- دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٥م.

٦- أ.د.على حسني الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي: سلسلة (تاريخ المصريين رقم ١٥)، طبع، ونشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

٧- أ.د. محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار (تطور الصراع الغربي مع الإسلام)، طبع، ونشر دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٣م.

٨- محمد قطب: كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ طبع ونشر: دار الشروق بالقاهرة وبيروت ١٩٩٥م.

٩- أ.د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون: مالهم وما عليهم: الطبعة الثانية، طبع، ونشر: المكتب الإسلامي ببيروت، ودمشق ١٩٧٩م.

١٠- نجيب العقيقي: المستشرقون، الطبعة الرابعة، طبع ونشر دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م.

ثالثاً: الدوريات:

١- أ.د. مصطفى الشكعة: التيارات الاستشراقية في الحقل الأندلسي، بحث منشور في كتاب: (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية) الصادرة عن (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ١٩٨٥م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

-Pons Boigues: En aya- bio- bibligraphico sobre los Historia dores Y geografos arabigo espanoles, (Madrid 1898).

الهوامش:

(*) رجعت في التعريف بالمستشرق الهولندي دوزي إلى: كتاب (المستشرق) لنجيب العقيقي (ط٤- دار المعارف بالقاهرة) ١٩٨٠م، ج٢ ص٣٠٨- ٣١٠، وبحث (التيارات الاستشراقية في الحقل الأندلسي) للدكتور مصطفى الشكعة، منشور في كتاب: (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية) الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ١٩٨٥م) ج٢ ص٢٨٠-٢٨١، ومقدمه

المترجم د.حسن حبشي لكتاب (المسلمين في الأندلس)لرينهرت دوزي (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٤م) ج١ ص٦-١٦، والاستشـــراق بين الإنصاف والإجحاف لعبد الله على العليان (ط١- المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، بيروت ٢٠٠٣م) ص٦٠- ٦٥.

(١) مقدمـــة المترجم د.حسن حبشي لكتاب (المسلمين في الأندلس) لرينهرت دوزي (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م) ج١ ص٦. ويلاحظ أن العقيقي حدد مولده في ليدن، وذكر أنه من أسرة فرنسية عُرف أكثرها بحـــب الاستشـــراق، وأشار إلى وجود صلة نسب بينه وبين آل ألبرت سخولتس **A.Schultens** (١٦٨٦-١٧٥٠م) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة ليدن بهولندا. (المستشرقون) ج٢ ص٣٠٥، ٣٠٨.

(٢) مقدمـــة المترجم د.حسن حبشي لكتاب (المسلمين في الأندلس) لرينهرت دوزي (طبعة الهيئة المصرية العامة للكـــتاب ١٩٩٤م) ج١ ص٦. ولعـــل هـــذا أرجـــح مـــا قاله العقيقي عن تعلم دوزي مبادئ العربية في المنزل (المستشرقون) ج٢، ص٣٠٨.

(٣) ترجم له العقيقي في المرجع السابق ٣٠٧/٢.

(٤) ذكر العقيقي في السابق ٢/ ٣٠٨: أن الجامعة (جامعة ليدن) هي التي اقترحت على المستشرقين عمل رسالة في ملابـــس العرب، وأن فوز دوزي بالجائزة فتح له الباب للكتابة في (المجلة الآسيوية) التي ينتشر بها كبار المستشرقين أعمالهم.

(٥) مقدمة المترجم د.حسن حبشي لكتاب (المسلمين في الأندلس) لرينهرت دوزي ج١ ص٦-٧.

(٦) المرجع السابق ج١ ص١٤.

(٧) مقدمـــة المـــترجم د.حسن حبشي لكتاب (المسلمين في الأندلس) لرينهرت دوزي ٨/١، ١١- ١٢، ١٥، والمستشرقون للعقيقي ج٢، ص٣٠٨- ٣٠٩.

(٨) مدح د.الشكعة جهوده الطيبة في نشر ما تعهده من كتب التراث، وذكر أنه نشر الجزء الخاص بالأندلس من (الحلة السيراء)، (بحث التيارات الاستشراقية في الحقل الأندلسي) المنشور في (مناهج المستشرقين) ٢٨١/٢.

(٩) الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف لعبد الله على العليان ص٦٠- ٦١.

(١٠) راجـــع ترجمة دي خويه، ونشر لمكتبة الجغرافيين العرب بمساعدة بعض المستشرقين في: المستشرقين للعقيقي ٣٠٠/٢- ٣٠١، ٣١٢- ٣١٣، والاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ص٦٠- ٦٢.

(١١) المستشرقون للعقيقي ج٢، ص٣٠٩.

(١٢) المرجع السابق ٣٠٩/٢، والاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ص٦٤.

(١٣) مقدمة المترجم د.حسن حبشي لكتاب (المسلمين في الأندلس) لرينهرت دوزي ج١، ص١١.

(١٤) المستشرقون للعقيقي ٣٠٩/٢ (وأضاف أن دوزي صدره بمقدمة فرنسية، وذيله بمعجم، وحققه على مخطوط بالإسكوريال ١٨٤٨- ١٨٥١م، ونقله إلى الفرنسية).

(١٥) المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٠٩، والاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ص٦٤.

(١٦) وفيه ينقد كتاب كوندي المذكور الذي كان يعد من علماء الأندلسيات، لكن دوزي بعد تمكنه من الإسبانية طالع الكتاب، فهاله ما فيه من مغالطات، وأخطاء تاريخية كثيرة؛ نظراً لعدم إلمام المؤلف بالعربية إلماماً كافياً، كما أنه لم يكن أميناً فيما ساق من روايات في التاريخ الأندلسي لا أصل لها في المصادر العربية والأسبانية، رغم أنه زعم – زوراً وبهتاناً– أنه ترجمها عن اللغة العربية، مستغلاً جهل القراء بها، (مقدمة المترجم د.حسن حبشي لكتاب المسلمين في الأندلس لدوزي ج١، ص١٠).

(١٧) المرجع السابق ١٢/١.

(*) هذا هو العنوان الذي اعتمدته في الدراسة نقلاً عن ترجمة د. حسن حبشي، وهو خاص بالأجزاء من الثاني إلى الرابع من أصل الكتاب الذي أعاد طبعه بروفنسال سنة ١٩٣٢م. وهذه الطبعة التي اختصها د.حبشي بترجمة مستقلة وقعت في ثلاثة أجزاء (١–٣). هذا وقد عنون البعض للكتاب بهذا العنوان: (تاريخ المسلمين في إسبانيا إلى فتح المرابطين). (المستشرقون ج٢، ص٣١). أما الجزء الأول من أصل الكتاب والذي ترجمه د. حسن حبشي مستقلاً بعنوان: (تاريخ مسلمي إسبانيا: الحروب الأهلية)، ونشرته دار المعارف بالقاهرة، فليس داخلاً في هذه الدراسة.

(١٨) عنوان لدى نجيب العقيقي: (النصارى والمرتدون). (المستشرقون ج٢، ص٣١٠)، وأرى أنه لا فارق بين العنوانين فالمضمون واحد، وإن مصطلح (النصارى) أدق في التعبير عن حقيقة علاقة هؤلاء بالمسيح (عليه السلام)، ومصطلح (المرتدين) راعي وجهة نظر النصارى، الذين لا يرضيهم دخول بعض الأسبان دين الإسلام بطبيعة الحال، فهم –في نظرهم– مرتدون كفرة.

(١٩) يمتد من ص٢٧– ٢٣٦، والحواشي في نهاية الجزء (ص٢٣٧– ٢٧٧).

(٢٠) ذكر العقيقي أن عنوان هذا الجزء: (الخلفاء). (المستشرقون ٣١٠/٢). والحق أن هذا العنوان يتفق مع مضمون هذا الجزء الذي يتناول عصور الخلفاء: الناصر، والمستنصر، وهشام المؤيد.

(٢١) يمتد من ص ٧– ٢٢٤، ثم الحواشي ص٢٢٧– ٢٧٦.

(٢٢) سقط عنوان الجزء من ترجمة الدكتور حسن حبشي، وهو موجود لدى العقيقي في آثار دوزي (المستشرقون) ٣١٠/٢.

(٢٣) يمتد من ص٧– ١٨٢، ثم الحواشي ص١٨٣– ٢٠٧. وبعد ذلك أورد المترجم الملحق الأول من ملاحق الكتاب، حيث ترجم تحقيقاً لتاريخ قدوم يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين إلى الأندلس بقلم ليفي بروفنسال (ص٢١٣– ٢١٥)، وبعده عرض الملحق الثاني، وهو عبارة عن ثبت بملوك الطوائف بالأندلس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (ص٢١٦– ٢٢٤)، ثم الملحق الثالث (ثبت بأسماء الأعلام والأماكن بالعربية واللاتينية ص٢٢٧– ٢٣٧)، ثم أورد الملحق الرابع والأخير، وهو مصادر ومراجع المؤلف والمعلق والمترجم (ص ٢٣٩– ٢٤٦)، وأخيراً: كشاف عام لأجزاء الكتاب الثلاثة (ص٢٤٩– ٢٨٨).

(٢٤) الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ص٣٩.

(٢٥) راجع: المزيد عن منهجهم العلمي، وتميزاتهم الخاصة، وتأثير مناهجهم في كُتابنا، ونماذج لبعض الكتب المهمة التي أصدروها، وتعبر عن مدى جلدهم في البحث والدرس، راجع في ذلك: المستشرقين للعقيقي ج٣، ص٥٩٨-٦٠٦، والاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ص٣١- ٣٢، ٣٦.

(٢٦) تعددت تقسيمات الباحثين للمستشرقين؛ فمنهم الإقحاح الذين أوغلوا في التعصب والعداء، وتمثلئ كتبهم بالأكاذيب والسباب المقذع، ومنهم جامعيون أكاديميون معتدلون، ومنهم وسط بين الاعتدال والتطرف، ولعل من أخطرهم أولئك الذين يتميزون بالجهود العلمية الكبيرة التي تغري الباحثين بالقراءة لهم، ثم هم لا يسوقون الاتهامات والافتراءات جزافاً، بل يدسونها في سطور قليلة متناثرة كمن يضع السم في العسل، وهم يحققون أهدافهم في بلبلة العقول وتشويه الأفكار، لأنه لا يفطن إليهم إلا القارئ المختص المتعمق، ويلاحظ أنهم يزينون كتبهم بذكر المصادر والمراجع، لكنهم ينفذون من خلال ثغراتها، ويعتمدون على روايات مشكوك في صحتها، ويؤولون الصحيح تأويلاً سيئاً. (راجع: المستشرقون والتاريخ الإسلامي) للدكتور على حسني الخربوطلي، (سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٥ الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م) ص١٠٧- ١٠٨، الاستشراق رسالة استعمار للدكتور محمد إبراهيم الفيومي (دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٩٣م) ص١٥٤ وبعدها، وثمة قوائم مسجلة بأسماء أخطر المستشرقين ومؤلفاتهم مع نقد لبعضها في كتاب: (منهج كتابه التاريخ الإسلامي، لماذا؟ كيف؟) للدكتور جمال عبد الهادي، والدكتورة وفاء محمد رفعت (ط٢- دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٨٨م) ص٢٤٥ وما بعدها.

(٢٧) كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ للأستاذ محمد قطب (دار الشروق ١٩٩٥م) ص١٥٧-١٥٩. ويضيف د.عبد الرحمن على الحجي أن مؤرخينا كانوا غاية في الأمانة في النقل والإسناد والدقة في العرض بما يفوق دعاة المنهج العلمي من الباحثين المعاصرين والمستشرقين المتعصبين، مهما ألبسوا أسلوبهم ثياب العلم المرقعة، وأزياء الأكاديمية المهلهلة. (نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي)، الطبعة الثانية، دار الاعتصام ١٩٧٥م، ص٥٧.

(٢٨) وقد يقول قائل : إن المصادر التاريخية الأولى بها خرافات وأساطير، والغث السمين، والروايات المتناقضة المتضاربة الخالية في عرضها من المنهج العلمي القويم، مثل: السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ/٨٣٣م)، وتاريخ الطبراني (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) والحق أن المؤرخين الأوائل اعتمدوا الإسناد وصدروا به رواياتهم ، وأعلن بعضهم أنه أكتفي بالنقل لأكبر قدر الروايات التاريخية، كي يدرس القارئ أسانيدها ومتونها، ويميز بنفسه صحيحها من سقيمها(تاريخ الطبراني، طبعة دار المعارف) جـ١ ص٧-٨ إذا هو منهج معتمد أفصحوا عنه، وهناك قواعد الجرح والتعديل ما يكفل لأولي العلم الوصول إلى الحقيقة. ورغم ما يوجه من نقد لهذه المصادر، فإن مؤرخيها بذلوا جهودا منهجية كبيرة في الجمع، والتصنيف، والتعليق وإبداء الرأي أحياناً.

(٢٩) مقدمة الطبعة الأولى من كتاب : (المسلمين في الأندلس) لدوزي (ترجمة : د. حسن حبشي) جـ١ ص١٧-١٨.

(٣٠) باستثناء مواضع قليلة لم يكن عنوان الفصل مناسبا لمحتواه كما في الفصل الثالث من جـ١ ص٥٧ (يوم الحفرة ونتائجة) بينما يتناول المضمون أوليات عهد عبد الرحمن الداخل، وعلاقة الأمير هشام بالقضاة وغير ذلك من الموضوعات، ولم يتناول مذبحة طليطلة إلا نهاية الفصل .

(٣١) كما في الفصل الأول من الجزء الثاني ص٥،٧ .

(٣٢) فعنوان الفصل الثامن (تولي محمد الحكم) (المرجع السابق١٠٧/١)، وبعده في الفصل التاسع (عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن) جـ١ص١١٩. والشيء نفسه من عناوين الفصول من الرابع عشر إلى السادس عشر (ولاية عبد الله الحكم)، و(موقعة بلاي من أعمال قبرة سنة٢٧٨هـ)و(بقية عهد عبد الله) .(السابق١٧٥/١ ، ١٩٣ ، ٢٠١).

(٣٣) باستثناء الفصول الأخيرة من الكتاب جـ٣ ص١١٩ وما بعدها.

(٣٤) لعمل الأستاذ محمد عبد الله عنان من هؤلاء الباحثين المعاصرين ، وذلك في موسوعته الأندلسية : (دولة الإسلام في الأندلس) .

(٣٥) المسلمون في الأندلس لدوزي (ترجمة : د.حسن حبشي) جـ٢ ص٧ (الفصل الأول)

(٣٦) المرجع السابق (الفصل الأول) جـ١ ص٢٧

(٣٧) السابق جـ١ ص٨١ ،٨٥

(٣٨) شغلت إمارة إشبيلية وتتبع أخبارها في البداية حتى النهاية اكثر من ثلثي الجزء الثالث من كتاب دوزي (من الفصل الخامس حتى نهاية الجزء حيث الفصل الخامس عشر) ص٤٩-١٨٢ (وتضمن الحديث عن المعتمد بن عباد وأخباره وأشعاره من الفصل التاسع حتى النهاية) .

(٣٩) المسلمون في الأندلس ١٥١/٣-١٧١،١٦٩-١٨٢

(٤٠) المسلمون في الأندلس لدوزي ١٣١/١-١٣٤

(٤١) السابق ١٥٧/١ ،١٥٩ ،٢١٢

(٤٢) السابق ١٦٩/٣

(٤٣) السابق : الجزء والصفحة نفسها

(٤٤) راجع بياناتها في (المسلمون في الأندلس لدوزي) في جـ٣ ص٢٣٩ وما بعدها

(٤٥) السابق ٨١/١

(٤٦) السابق ٩٩/١،٤٨

(٤٧) السابق ٢٥٧/١ (حاشية ١٥،١١)

(٤٨) السابق ٢٦٥/١ (هامش ٨)

(٤٩) السابق ٣٨/١ (أصاب ميشيل أحد ثقات المؤرخين) .

(٥٠) قال دوزي : تسرب عن ابن عمار قصة نادرة عجيبة وقعت له بالفعل ؛لأنها رواها أصدق من يوثق بهم ، ومن بينهم المعتمد ، بل وابن عمار (السابق ٣/٩٠) .

(٥١) انفرد ابن القوطية بذكر الأحداث التي صحبت اعتلاء محمد بن عبد الرحمن العرش دون غيرة من المؤرخين المسلمين .(السابق ١/٢٥٦ هامش ١٥) . وبالرجوع إلى (تاريخ افتتاح الأندلس) لابن القوطية (ط . دار الكتاب المصري اللبناني) ، وجدت تلك الأحداث ص٩٣-٩٥ . وربما كان دوزي مبالغا في تفرد ابن القوطية بذلك؛ لأن الإحاطة بكافة المصادر الأندلسية التي ظهرت ، والتي ستظهر تباعا بعده أمر غير معقول . وعلي كل،فقدت وجدت الأحداث في (المقتبس من أنباء أهل الأندلس) لابن حيان القرطبي (تحقيق : الدكتور. محمود مكي ، طبعة دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٧٣م) مقتبسه من ابن القوطية ص١١٤-١١٨ ، وبحثت عنها فلم أقف لها علي أثر في (البيان المغربي) لابن عذارى رغم ضخامة مادته ؛ مما يجعلني ارجح نقل بن القوطية لها عن أحد المصادر الأندلسية المفقودة التي لم نقف عليها بعد

(٥٢) كالحوليات اللاتينية المؤلفة في قرطبة سنه ١٧٣م ، والمنسوبة خطأ لا يزيدور الباجي . وقد رأي دوزي أن المؤلف من رجال الكنيسة، ونقده؛ لأنه أكثر ميلا للمسلمين من أي ملف أسباني آخر موجود في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي،وامتعض من عدم استكاره زواج عبد العزيز بن موسي بن نصير من أرملة لذريق . (المسلمون في الأندلس) ١/٤٨ .

(٥٣) المرجع السابق ٣/١٩٢ (هامش٦) . ذكر دوزي في (السابق ٣/٦٩) : أن المعتضد أعلن عن وفاة الخليفة هشام المؤيد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م ، وخطأ عبد الواحد المراكشي فيما أورد من تاريخ هذا الإعلان . وبالرجوع الي (المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ط١- تصحيح محمد سعيد العريان، وغيره ١٩٤٩م) ص٩٩ ،تبين ان التاريخ المذكور سنة ٤٥٥هـ

(٥٤) المسلمون في الأندلس ١/١٨٦ .

(٥٥) المرجع السابق ١/١٨٧

(٥٦) السابق ١/١٨٧ . وفي (السابق) ١/٢٦٨ (هامش٤١) حدد دوزي المصدر بأنة تاريخ ابن حبيب ، فإذا كان الأمر كذلك ، فليس دوزي دقيقا فيما قال ؛ لأن عبد الملك بن حبيب الاليري (ت٢٣٨هـ / ٨٥٢م) ليس معاصرا للصراع بين الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) وعمر بن حفصون . راجع ترجمة المؤرخ بن حبيب في : (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس) لابن الفرضي (ط٢ - مكتبة الخانجي ١٩٨٨م) جـ١ ص٣١٢-٣١٥ (رقم ٨١٦)، وجذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي (ط١ - الكتاب المصري اللبناني ١٩٨٤م)جـ٢ ص٤٤٧-٤٤٩ (رقم ٦٢٨) ، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (دار الكاتب العربي ١٩٦٧م) ص٣٧٧ (رقم ١٠٦٣)

(٥٧) المسلمون في الأندلس لدوزي ١/٢٤١ (هامش ١)

(٥٨) السابق ١/٢٥١ (هامش ١)

(٥٩) السابق ٤٧/٢ (هامش ٥٦) ، ص٢٥٦ (هامش ٣١)

(٦٠) السابق ٢٥١/١ (هامش١٦-١٨)

(٦١) السابق ١٩٢/٣ (هامش ٣) .

(٦٢) السابق ٢٧١/١ (هامش٣٤) .

(٦٣) السابق ٢٥١/١ (هامش ١٧)

(٦٤) السابق ٢٢٧/٢ (هامش ١٦)

(٦٥) السابق ٢٦٥/١ (هامش ١) .

(٦٦) السابق ٢٤٩/٢ (هامش ٥) .

(٦٧) السابق : الجزء والصفحة نفسها

(٦٨) السابق ٢٥٤/٢(هامش ٨).

(٦٩) السابق ٢٥٦/٢ (هامش ٣٤).

(٧٠) السابق ٢٧٠/١ (هامش ١٠).

(٧١) السابق ٢٣١/٢ (هامش١، ٤).

(٧٢) السابق ٢٥٤/٢ (هامش٨).

(٧٣) المسلمون في الأندلس لدوزي ٤٧/١

(٧٤) السابق ٤٨/١-٤٩

(٧٥) السابق ١٠٠/١ وكذلك دور القساوسة في توسعات النصارى بالأندلس (السابق١٩/٢) .

(٧٦) السابق ١٤٦/١ .

(٧٧) السابق ٢٢١/١ .

(٧٨) السابق ٢٠٤/١ .

(٧٩) المسلمون في الأندلس لدوزي ٢٩/٢ ، ٥٥-٥٨

(٨٠) السابق ١٥١/٢-١٥٣

(٨١) مثل : التحليل النفسي الجيد للمعتضد بن عباد قاتل ابنه (السابق ٧٢/٣) وكذلك تحليل شخصي : المعتمد، ووزيرة ابن عمار (السابق ١١٩/٣) .

(٨٢) تعـــدد مقارنـــات دوزي الجيدة . ومن أبرزها مقارنته المتميزة المفصلة المحتوية علي الاستلال، والاستشهاد والتعليل بين باديس زعيم البربر، والمعتضد زعيم العرب من سبع نوح (السابق ٤٩/٣-٥٣) .

(٨٣) مثل : التأريخ لبعض الأحداث شعرا كوسيلة من وسائل الاستلال مستعينا علي ذلك بثقافته الأدبية الرفيعة، وإجادته للغة العربية إجادة تامة انعكست علي أسلوبه ولغته في كتابه (المسلمون في الأندلس) جـ١ ص١٥٨

(٨٤) مثل : امتلاك اليهود الكثير من الأموال والممتلكات في أسبانيا قبيل الفتح الإسلامي رغم أن قوانين المجتمع لهم بالمرصاد،فاستنتج أن القوانين لم تكن مطبقة؛ نتيجة الفوضي السياسية والإدارية في المجتمع القوطي آنذاك . (المرجع السابق ٣٩/١).

(٨٥) تعليل ثورة أهل ماردة علي المسلمين؛ نتيجة اتصالهم بالفرنج (السابق٧٩/١)، وتعليل سر العداء المستحكم بين القساوسة والمسلمين بالأندلس (السابق ٨٧/١-٨٩) . وأحياناً يكون التعليل ساذجا كتعليله تراجع المعتمد عن قتل نفسه ، عندما أيقن بسقوط اشبيلية في يد المرابطين بأنة خشي غضب الله عليه .(السابق ١٥٥/٣) . والراجح عندي إزاء رجل لا يخشي الله كالمعتمد – أنه آثر حب البقاء، فلربما عفا عنه ابن تاشفين ولو عاش ذليلاً ، كما كان في ظل النصارى من قبل، فهو من أحرص الناس علي حياة، وسيرته خير شاهدة علي تأصل الجبن والخنوع فيه وحب الحياة وملذاتها .

(٨٦) رغم إعجابه بالناصر إلا أنه لم يمنعه من توجيه سهام النقد لبعض تصرفاته كموافقته علي نبش قبر ابن حفصون بعد دفنه (السابق ٢٣٣/١)، ونقده استخدامه للصقالبة، وما جروه علي الرعية من شرور ومظالم .(السابق ٣٧/٢).

(٨٧) كما في معالجته ثورة المولدين والنصارى بالأندلس (السابق٨٠/١-٨١) وخروج بابديس لغزو إشبيلية (السابق ٦٨/٣).

(٨٨) توجيحه قتل لزريق في معركة طارق ابن زياد ضده (السابق ٤٥/١).

(٨٩) المسلمون في الأندلس لدوزي ٢٤/٢ .

(٩٠) مثل : استخدام مصطلح (القوة الملوكية) للتعبير عن الحكام الأمويين بالأندلس، ومصطلح الأشراف للتدليل علي العرب . المرجع السابق ٣٨/٢

(٩١) عرف الصقالبة في أصل إطلاق المصطلح ثم تطورة وانتقاله من العموم إلى الخصوص ودرس الدور الذي لعبوه في الأندلس،عرف بواحد من أهم أدبائهم في عصر الحكم الثاني (حبيب الصقلي) صاحب الكتاب (الاستظهار والمغالبة علي من أنكر فضل الصقالبة). (السابق٣٨/٢، ٢٣٦) (هامش ٨)،

bibliographico sopre lis His toria dores pons boigues : En aya- bio Y geografos arabigo espanoles ,(Madrid 1898),pp.114-116

(٩٢) المسلمون في الأندلس ٤٣/١.

(٩٣) المرجع السابق ٤١/١.

(٩٤) السابق ٤٥/١-٤٦ .

(٩٥) السابق ٤٣/١-٤٤ .

(٩٦) السابق ٣٤/١ .

(٩٧) السابق ٥٠/١-٥٢ .

(٩٨) المسلمون في الأندلس ١٥٣/١ وهو ما أشار إليه أ.د.مصطفي السباعي ، وارجعه لاستنتاجاتهم الوهمية ، واستنباطاتهم الكلية عن حادثة جزئية (الاستشراق والمستشرقون)، ط. المكتب الإسلامي ص٤٦،٤٣.

(٩٩) المسلمون في الأندلس لدوزي ١٨١/١.

(١٠٠) السابق ٨٢/١، ٩٦-٩٧ ، ٦٣/٣ . ويلاحظ أنه لا اعتبار عندهم للمتغيرات الأخلاقية الطيبة وسلوكيات المسلمين الرائعة التي تمثل أصل التحضر والتمدن الحقيقي وهو ما يعرف بالتفسير المادي للتاريخ حيث لا اعتبار للروح ولا العقل ، ولا النفس (نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي) . د.الحجي ص٦٧ ..

(١٠١) السابق ٣٦/١، ٦٩، ٧١، ٨٧ .

(١٠٢) السابق٧٥/١-٧٦ .

(١٠٣) السابق ١٢٦/١-١٢٧، ٤٦/٣ . وهو ما يعرف بالتفسير القومي للتاريخ . حيث تتعصب كل طائفة ضد الأخرى ويصبغ التاريخ بالصبغة العربية لا الإسلامية (نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي) للدكتور الحجي ص٨٠ .

(١٠٤) المسلمون في الأندلس ١٩٧/١، ١٥٢، ٨٥، ٧٩.

(١٠٥) المرجع السابق ٧٩/٢-٨٤

(١٠٦) السابق ١٤٥/٣

(١٠٧) السابق ١٤٢/٣ .

(١٠٨) السابق ١٤٠/٣ .

(١٠٩) السابق ١٧٣/٣ .

(١١٠) المسلمون في الأندلس ١٥٦/٣، ١٦٥، ١٦٧ والحق أن الرجل نقل عن عبد الواحد المراكشي هذه الاتهامات دون تحقيق ، ومعلوم أن المراكشي متميز للبلاط الموحدي وحاول إرضاء حكام الموحدين علي حساب المرابطين (تاريخ المغرب وحضارته) للدكتور حسين مؤنث (طبعة العصر الحديث للنشر والتوزيع - بيروت) المجلد الثاني ، الجزء الثاني ص٤٧-٤٨ .

(١١١) المسلمون في الأندلس ١١٦/١ ، ١٣١ ، ٤١/٢ ، ٧٢ ، ١٠٥/٣ ، ١٢٥ .

(١١٢) المرجع السابق ٣٦/١ ، ١٦٠ ، ١٤٨/٣.

(١١٣) السابق ١٥٩/٣

(١١٤) السابق ٧٨/١ .

(١١٥) السابق ١٠٠/١- ١٠١ ، ١٣٨/٢.

(١١٦) السابق ٩٧/١ .